مركز صناعة الفكر
للدراسات والأبحاث
Fiker Center for Studies

دراسات

الحراك السلفي في لبنان وتداعيات الثورة السورية

د. عبد الغني عماد

مركز صناعة الفكر
للدراسات والأبحاث
Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعِدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويعتني بها ويشرف عليها

ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال تكنولوجيا الاتصال، وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

www.fikercenter.com

fikercenter

الحراك السلفي في لبنان
وتداعيات الثورة السورية

د. عبد الغني عماد ●

●● ليست الحالة السلفية حديثة النشأة في لبنان ، وإن كانت شهدت في العقدين الأخيرين نمواً ملحوظاً وامتداداً من بعض المراكز المدينية والمسجدية إلى حواضر وتجمعات شعبية وريفية ، فضلاً عن تطور أساليب عملها من جهود فردية يقوم بها دعاة بمفردهم إلى جهود جمعياتية ومؤسساتية تشرف عليها وتشترك في إدارتها طاقات شابة متنامية في الحقل التربوي والصحي والإعلامي ، فضلاً عن المشايخ والدعاة المؤسسين لهذه الجمعيات ، هذا بالإضافة إلى بدايات تبلور خطاب سياسي كانت تفتقد إليه فيما سبق .

النشأة والبدايات

لا شك أن تأثير الشيخ محمد رشيد رضا يرخي بظلاله على تلك البدايات ، فهو منذ أن كتب عن الدعوة الوهابية في ثلاثينات القرن الماضي ورغم زياراته القليلة إلى طرابلس – العاصمة الثانية للبنان ، ذات الغالبية السنية المحافظة – ترك أثراً هاماً في وعي أبناء وعلماء المدينة ، فقد كانت سلفيته عقلانية ومرنة مطعمة بتأثير أستاذه محمد عبده .

لم يكن انتشار السلفية الوهابية سهلاً في الحواضر المدينية اللبنانية ، ففيها ترسخت وعلى مدار قرون الأشعرية كعقيدة لأهل السنة والجماعة والمذهب الحنفي كفقه معتمد لغالبيتهم ، ونسج علمائها مع الأزهر الشريف العلاقات الوطيدة حيث من علمائه الكبار كانوا ينهلون المعرفة والعقائد والفقه ما جعله مرجعيتهم الشرعية والتربوية ، لذلك انتشر بين مساجد طرابلس وبيروت وصيدا وغيرها من المدن والحواضر السنية في الريف اللبناني علماء الأزهر يعلمون ويدرسّون ويعظون .

لم يكن هذا يعني أنه لا مكان للدعوة السلفية في هذه البيئة الفكرية ، بقدر ما يعني أن الدعوة لها لم تكن أمراً سهلاً ، فقد كان أبرز علماء طرابلس وغالبية مشايخها من خريجي الأزهر المتأثرين بالتيارات الفكرية السائدة في أروقته حينها ، ولم يكن رائجاً التوجه إلى المعاهد والكليات الشرعية في السعودية لتلقي العلم الشرعي إلا فيما ندر قبل أن يصبح هذا الأمر منذ الستينات والسبعينات أمراً مألوفاً وينطلق مع الثمانينات ، وليكون من نتائجه المباشرة دوراً متناهياً داخل المؤسسة الدينية السنية لهؤلاء الخريجين الذين حملوا معهم مؤثرات الدعوة السلفية الوهابية ، بل أن هذا الدور لم يقف عند حدود المؤسسة الدينية والدور الوعظي والدعوي داخل المساجد ، وإنما بدأ يفعل فعله على تخومها وفي بيئتها من خلال الأنشطة الدعوية ذات الطابع الجمعياتي والوقفي النشط .

● رئيس المركز الثقافي للحوار والدراسات والأستاذ في الجامعة اللبنانية .

من أبرز الدعاة المؤسسين للدعوة في لبنان الشيخ سالم الشهال [١] ، الذي بدأ مسيرته بالدعوة السلفية في طرابلس منذ أواسط أربعينات القرن الماضي الذي اطلع خلال رحلاته إلى المدينة المنورة في السعودية على الدعوة السلفية واجتمع بعدد من علمائها وتأثر بهم ، وحينها بدأ تركيزه على محاربة البدع وكل ما يسيء إلى صفاء العقيدة ثم ما لبث أعلن تأسيس " الجماعة مسلمون " عام ١٩٤٧ يوم لم تكن هناك أية جماعة إسلامية في لبنان ، وقد ذاع صيت هذه الجماعة حينها واستطاعت أن تستقطب بعض الوجوه والعلماء الذين بايعوا الشيخ سالم أميراً ، وكان بينهم حينها الشيخ سعيد شعبان وفتحي يكن .

مع انفجار الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥ لم يسجل للسلفيين في لبنان أي دور بارز ، عدا المحاولة المتواضعة مع بداية الحرب لتشكيل فصيل عسكري رعاه الشيخ الأمير سالم الشهال تحت اسم " نواة الجيش الإسلامي " ، والذي انحصر وجوده في أحد مناطق وأحياء طرابلس بين ١٩٧٥-١٩٧٦ ، ولم يلبث أن تم حلّه كما غيره من المجموعات المسلحة مع دخول قوات الردع العربية عام ١٩٧٧ إلى طرابلس وباقي المناطق اللبنانية ، جرت محاولة لإحيائه من جديد أواسط الثمانينات في فترة توسع انتشار حركة التوحيد الإسلامية في طرابلس ، إلا أنها لم تكن ناجحة .

خلال الحرب اللبنانية بدأت الأمور بالتغير على الرغم من تركيز الشيخ على شؤون الدعوة والتربية ، فقد أرسل خلالها الشيخ سالم أبناءه الثلاثة – داعي الإسلام ، وراضي، وأبو بكر – لتلقي العلم الشرعي في المدينة المنورة وفق المنهج السلفي ، فكانوا من أوائل الدفعات التي بدأ بعدها الطلبة ممن تلقوا أصول الدعوة السلفية العلمية بالتوافد على المدينة ، وبدأ معها الجيل الجديد إدخال البعد الحركي والمؤسساتي إلى جانب الدعوي والتربوي ، ومع تقدم الشيخ سالم بالعمر وانصرافه الكامل للعمل الدعوي بدأ جيل جديد –من بينهم أبناءه – يعملون لتأسيس مشهد سلفي جديد يتخطى حدود طرابلس .

في الثمانينات انتعش التيار السلفي في إطار رواج هذا التيار ومقولاته في العالم العربي وبروز بعض رموزه التي بدأت تجدد في خطابها السلفي ، كالشيخ ناصر الدين الألباني – صاحب منهج " التصفية والتربية " وتركيزه على " التوحيد والأتباع والتزكية " – ، ثم بدأ يتسرب شيء من مما يعرف بالسلفية الحركية وأفكار الصحوة أو ما يعرف بالتيار " السلفي السروري "، لتأتي بعدها الحالة الأفغانية لتطلق موجة السلفية الجهادية التي وصلت رياحها إلى طرابلس .

بقيت دعوة سالم الشهال محصنة أمام كل هذه المتغيرات، توفي الشيخ عام ٢٠٠٨، وبقي وفياً لسلفيته الدعوية الوهابية العلمية، أو كما كان يسميها دعوة أهل السلف الصالح، ولم يتزحزح عنها، إلا أن كثيراً من طلابه ومريديه انفضوا عنه وشكلوا جمعيات وأطر خاصة بهم بعيدا عن مرجعيته، في حين انصرف أولاده وعلى الأخص ابنه الشيخ داعي الإسلام لترسيخ وتطوير مدرسة والده السلفية عبر تأسيس المدارس الدينية والعمل الخيري وبناء المساجد من خلال جمعية "الهداية والإحسان" التي شكلت الإطار الرسمي للحركة السلفية عام ١٩٨٨، والتي دخلت مبكراً في حرب فكرية وفقهية مع " الأحباش " – جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية .

---

(١) توفي عام ٢٠٠٨ عن عمر ناهز ٨٦ عاماً أمضى غالبيتها في الدعوة السلفية التي بدأها بعد عودته من المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦ وتحديداً من المدينة المنورة ، مؤسساً " شباب محمد " في البداية ثم أطلق عليها اسم " الجماعة مسلمون " ، له كتابات صدرت في المنار ، ثم صدرت في كتابين الأول تحت عنوان : الوهابيون والحجاز (١٩٢٥) والثاني الشيعة والسنة (١٩٢٩) .

في هذه الأثناء حدثت تطورات في الساحة اللبنانية تركت تأثيرات بالغة الأهمية في مسارات العمل الإسلامي عموماً والسلفي خصوصاً ، ذلك أن الاجتياح الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢ كان محطة مفصلية بالنسبة لهم ، فعلى وقع هذا الاجتياح الصهيوني الذي دخل إلى العاصمة بيروت : انتعشت حركات الإسلام السياسي ، بدءاً بتأسيس حزب الله ، إلى حركة التوحيد الإسلامي التي قادها سعيد شعبان والذي جمعته بالشيخ سالم علاقات وميول سلفية قديمة ، إلا أن حدثين ساهما في بلورة منعطف جديد للإسلاميين والسلفيين في لبنان :

- الأول تمثل بانفجار الصراع السوري الفلسطيني ، والذي كان من نتائجه معركتي البارد والبداوي وحصار طرابلس الأول الذي انتهى بخروج عرفات منها في ٢٠ ديسمبر ١٩٨٣ على ظهر سفينة وبحماية بوارج فرنسية ، لتستمر بعدها المعركة مع حركة التوحيد الإسلامية (١٩٨٣-١٩٨٥) بشكل متقطع ، إلى أن انتهت بالحصار الثاني لطرابلس والقضاء عسكرياً على حركة التوحيد الإسلامية ودخول القوات السورية إلى طرابلس ، لتبدأ بعدها عملية اضطهاد واسعة لكل الإسلاميين ، ولتبدأ من جهة ثانية مرحلة تمثلت بحرب المخيمات الفلسطينية (١٩٨٥-١٩٨٨) في بيروت والجنوب ، والتي شنتها قوات حركة أمل المتحالفة مع النظام السوري ، نتج عن ذلك هذا الأمر تشتت الإسلاميين والسلفيين الذين لجأ بعضهم إليها ، وتعرضهم لحملات الملاحقة والاعتقال ، دون تمييز بين المقاتلين والدعويين .

- الثاني : تمثل باغتيال الشيخ نزار الحلبي رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية " الأحباش " في بيروت بتاريخ (٣١-٨-١٩٩٥) ، وقد شكلت هذه الجمعية رأس الحربة في مواجهة السلفيين من داخل منظومتهم العقائدية ، هذه الجمعية وطدت نفوذها في الشارع السني مستفيدة من تحالف وطيد مع النظام السوري ، سرعان ما تكشف أبعاد الجريمة ، وتبين أن " عصبة الأنصار " - وهي إحدى التنظيمات السلفية السرية الفلسطينية التي يقودها أحمد عبد الكريم السعدي والملقب بـ " أبو محجن " - هي التي تقف وراء الاغتيال ، واعتقل المنفذون بعد أن اعترفوا متفاخرين بما فعلوه [٢] ، وجرت محاكمة سريعة وتم إعدامهم في ٢٤ مارس ١٩٩٧ ، الإعدام السريع أثار غضبة واسعة في الأوساط الإسلامية والسلفية [٣] .

ولدت هذه التطورات المتسارعة مناخاً صدامياً بين السلفيين اللبنانيين وسلطة الوصاية السورية حينها ممثلة بأجهزتها الأمنية وبأجهزة الشرعية اللبنانية التي كانت تعمل بالتنسيق الكامل معها .

في ظل الوجود السوري المباشر في لبنان بعد الطائف ، ازدادت صعوبة العمل أمام السلفيين اللبنانيين ، مع ذلك بدأت تتأسس مجموعات مدرسية سلفية متنوعة ، مدشنة ميدان خاص بها ، واستراتيجية عمل اعتمدت على طريقة إنشاء المدارس والمعاهد والأوقاف ، وخصوصاً بعدما بدأت ملاحقة بعض رموز هذا التيار عام ٢٠٠٠ ومنهم نجل الشيخ سالم الشيخ داعي الإسلام ، وحلّ جمعية الهداية وإغلاق مدارسه بسبب ما كان يدرسه المعهد التابع له من فكر اعتبر بنظر الحكومة حينها تكفيرياً ويحض على الفتنة لعدد من الفرق والمذاهب الإسلامية .

واجهت الحركة السلفية أكثر من انتكاسة بعد الطائف منذ اغتيال رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية " الأحباش " الشيخ نزار الحلبي عام ١٩٩٥ إلى الصدام الدموي بين الجيش اللبناني ومجموعة جهادية سلفية ، عرفت

---

(٢) جريدة السفير البيروتية ٢٥-٣-١٩٩٧ .

(٣) عبد الغني عماد : الحركات الإسلامية في لبنان ، مرجع سابق ، ص٢١٨، أيضاً أنظر في هذا المجال الصحف اللبنانية، النهار والسفير والديار حول إعدام (أحمد الكم وخالد حامد وعبود) وراجع خطبة الشيخ سعيد شعبان في الديار (١/٤/١٩٩٧) .

باسم " جماعة الضنية " أواخر عام ١٩٩٩، جرى بعد كل منها موجة اعتقالات طالت العشرات ، تم بعدها ضبط الأنشطة السلفية على نحو محكم ، واجهت الحركة السلفية بعدها انتكاسة أخرى لأسباب تتعلق بالسياق الدولي الناتج عن هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة وما تبعها من تفجيرات الرياض عام ٢٠٠٣ [٤] ، الأمر الذي أدى إلى خفض المنح والمساعدات الخارجية أو إخضاعها لشروط معقدة ، ومع تراجع الدعم السعودي تنامت السلفية المدعومة كويتياً ، في المقابل أدى إغلاق جمعية الهداية والإحسان السلفية الجمعية الأبرز في لبنان إلى المزيد من إضعافهم وتشتتهم .

لعب الشيخ زهير الشاويش [٥] دوراً هاماً في نشر الفكر السلفي في لبنان من خلال تأسيسه للمكتب الإسلامي والمطبوعات الغزيرة التي كان يصدرها في بيروت لتوزع في العالم العربي ، كذلك بدأ الطلبة من خريجي الكليات الشرعية السعودية – وخاصة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة يلعبون أدواراً ناشطة في المساجد – وهذا ما حدث في البقاع اللبناني حيث ركز الشيخ الدكتور عدنان محمد أمامه والشيخ حسن عبد الرحمن على الدعوة والتعليم وإنشاء المدارس ، وفي مدينة صيدا ظهرت أواخر الثمانينات الدعوة السلفية ، وهي اليوم ناشطة من خلال جمعية الاستجابة التي يشرف عليها الشيخ نديم حجازي ، ومدرسة الصحابي عبد الله بن مسعود يديرها الشيخ أبو زكريا هدوي ، وصولاً إلى العرقوب في أقصى الجنوب الذي تأسس فيه نواة عمل سلفي ، المشترك بين هذه المكونات السلفية هو مرجعيتها السلفية العلمية وتركيزها على أولوية الدعوة والتربية ، بعضها نجح في تأسيس مدارس وجمعيات طبية وخدماتية ، وابتعادها عن التسلح والعنف والتسيّس ، في الوقت نفسه بدأ التيار السلفي يتواجد في بيروت ، هذا فضلاً عن توسعه في الشمال في عكار والضنية .

ما بعد انتفاضة ١٤ آذار

بعد اغتيال رفيق الحريري رئيس الحكومة اللبنانية عام ٢٠٠٥ وخروج القوات السورية من لبنان على وقع انتفاضة ١٤ آذار ، تم تسوية الأوضاع الأمنية والقضائية للعديد من القوى والشخصيات ، بينها سمير جعجع الذي خرج من السجن بعد أكثر من إحدى عشر سنة ، وميشال عون الذي عاد من المنفى ، وتم إطلاق سراح العديد من الموقوفين الإسلاميين والسلفيين ، وشهدت بذلك الساحة الإسلامية تنشيط لحركة التيار السلفي على وقع حالة الاصطفاف السياسي والمذهبي الذي يشهده لبنان منذ ذلك الحين .

وقد بذلت جهوداً عديدة لجمع وتوحيد الجمعيات والمعاهد السلفية في لبنان والتي تكاثرت بشكل ملحوظ في التسعينات ، لكنها لم تؤد لنتائج كبيرة .

---

(٤) جريدة الشرق الأوسط ، ١٦ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣ ، أدت التفجيرات التي استهدفت مجمعات سكنية للأجانب إلى قتل أكثر من ٤٨ شخصاً وجرحت أكثر من ١٥٠ شخصاً .

(٥) زهير الشاويش (١٩٢٥-٢٠١٣) : من مواليد حي الميدان بدمشق ، صاحب ومؤسس المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق منذ العام ١٩٥٧، وهو من أعلام السلفية في سوريا ، وله العديد من المؤلفات والكتب والتحقيقات ، وتخصصت مكتبته بنشر أمهات الكتب الإسلامية والسلفية اعتقل أثناء حكم حافظ الأسد ثم أطلق سراحه ونقل دار النشر إلى بيروت التي أصبحت مركز عمله وسكنه .

وهذه الجمعيات عموماً غير مسيّسة وغير منخرطة في المجال السياسي العام ، على الرغم من أن بعض شرائح هذا التيّار وجد من المناسب الاشتراك في الانتخابات ، تأثراً بالاتجاه الذي اختارته الجماعة الإسلاميّة ، فترشّح من هذا التيّار حسن الشهّال عام ١٩٩٢ في طرابلس وداعي الإسلام الشهّال عام ١٩٩٦ وحصلا على نتائج متواضعة ، إلا أنه من الواضح أن التيّار الوهابي السلفي عموماً لم يحسم بشكل واضح خياراته تجاه المسألة الديمقراطيّة ككل ، فهو في بعض أجنحته يتعامل مع الانتخابات كموسم لطرح الشعارات لا كخيار مبدئي للعمل السياسي ، فضلاً عن أنه لم يقدم خطاباً سياسياً لبنانياً واضحاً حتى الآن .

من الواضح أن الخط الغالب لدى السلفيين اللبنانيين فقهياً هو الخط الإصلاحي الدعوي الخيري ، وهم في الغالب ينحون باتجاه مؤسساتي تربوي ، وتميزوا بصيغة " الوقف " حيث يكفي تسجيل أحد العقارات بصيغة الوقف الخيري في المحكمة الشرعية ، لتصبح الجمعية المالكة لهذا العقار تابعة للأوقاف الإسلامية ، ولها الحق بمزاولة نشاطاتها بموجب شروط الوقف بعيداً عن رقابة وزارة الداخلية اللبنانية ولوائحها أو شروطها .

بين الدعوة والتسييس

شهدت هذه المرحلة انتعاشاً سلفياً واضحاً ، شمل مختلف المحافظات والأقضية اللبنانية ، بل أنه امتد ليشمل المدن السنية الرئيسة كبيروت وصيدا فضلاً عن طرابلس ، إلا أنه بقي متأرجحاً بين العمل الدعوي والسياسي ومتصفاً بالتشرذم والتعددية ، ومن الجمعيات السلفية الناشطة اليوم دعوياً ومؤسساتياً : مركز السنة ووقف التراث الإسلامي الذي كان يديره ويشرف عليه الشيخ صفوان الزعبي ، وأصبح اليوم يديره الشيخ نديم حجازي ويشرف عليه بدءاً من نيسان/أبريل ٢٠١٠، والذي يقيم علاقة قوية مع السلفيين الكويتيين ، وقد نجح هذا التيار في إقامة سلسلة من المؤسسات التربوية والطبية والإسلامية في سنوات قليلة [٦] .

في المقابل ، يعتبر الشيخ داعي الإسلام الشهال نجل الشيخ سالم الأكثر راديكالية وتسيّساً في التيار الإصلاحي الدعوي والأكثر حراكاً ونشاطاً والأكثر إثارة للجدل في الأوساط الإعلامية حتى العام ٢٠١٠ ، حيث برزت رموز أخرى ، فجمعيته تعرضت عام ١٩٩٥ إلى الحل بقرار من مجلس الوزراء سبب نشرها بعض الكتب التي اعتبرت حينها معرضة على الفتنة المذهبية [٧] .

يتخذ الشيخ داعي مواقف متشددة من حزب الله ومن النظام السوري الذي يدعمه والذي ضيق على التيارات السلفية في المرحلة التي حكم فيها لبنان ، وارتفعت وتيرة مواقفه بعد أحداث ٧ أيار ٢٠٠٨ والتي قام فيها حزب الله بما يعرف بـ " غزوة بيروت " وصعد مقاتلوه إلى الشوف في جبل لبنان [٨] ، حين دعا إلى " النفير العام " بين شباب أهل السنة للرد على الاجتياح الفارسي حسب تعبيره .

---

(٦) انظر مجلة الفدى الطرابلسية – عدد خاص – أسبوعية مستقلة ، عدد ٤ تشرين /أكتوبر، العدد ٤٠، السنة الثانية، ٢٠٠٧، ص٤.

(٧) النشرة الإعلامية الخاصة بجمعية الهداية والإحسان (٢٠٠٨) .

(٨) أحداث ٧ أيار تمثل التاريخ الذي اجتاحت فيه قوات حزب الله بيروت،وبعض قرى وبلدات الشوف في جبل لبنان بهدف السيطرة على مراكز تيار المستقبل والحزب التقدمي الاشتراكي والوسائل الإعلامية التابعة لهما ، والتي لم يتدخل فيها الجيش اللبناني ، وسقط بنتيجتها ٨٠ قتيل و٢٥٠ جريح أغلبهم من المدنيين ، ولم تنته الأزمة الناتجة عن هذا الاجتياح الذي عرف بـ "غزوة بيروت" إلا باتفاق الدوحة الذي قضى بانتخاب رئيس جمهورية وإجراء انتخابات نيابية وتأليف حكومة اتحاد وطني ، أنظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم ٢٣ (٢٥ أيار/مايو ٢٠٠٨)، ص٩.

السلفيون في لبنان قوة متنامية بين الحركات الإسلامية ، لم يكن العنف في منهجهم ، وهم بهذا حريصون على التميز عن تيار القاعدة ، ويعملون ضمن إطار القوانين ، ولكن بما لا يتعارض وأصول الشريعة الإسلامية وفق قناعاتهم ، هم طاقة إسلامية ناهضة لكنها غير مسيسة وغير موحدة ، يغلب عليها صيغة التيار أكثر من كونها تنظيم ، وهم في غالبيتهم في ظل الاصطفاف القائم في لبنان حالة سنية مستقلة تنظر بحذر شديد لتنامي دور ونفوذ الشيعة في لبنان ، وتحذر من فائض القوة الذي يملكه حزب الله ، لذلك يدعم بعضهم تيار المستقبل بمقدار دفاعه عن السنة وينتقدونه حين يتخاذل عن هذا الدور ، رغم كونهم معادون لبعض توجهاته العلمانية والمدنية .

الثورة السورية وتداعياتها

إن اندلاع الثورة السورية فاقم التوتر في الساحة اللبنانية في ظل الانقسام السياسي والطائفي الحاد والذي انعكس على مختلف الملفات السياسية ، كان موقف غالبية التيارات السلفية يجنح بشدة باتجاه دعم الثورة السورية ، الأمر الذي أدى إلى إشكالات أمنية في طرابلس وعلى جبهة بعل محسن – التبانة ، تلك المنطقة الساخنة التي تنفجر فيها الأوضاع الأمنية كلما وصلت الأمور إلى حلقة صعبة انفجر كل شيء وعاد ملف الموقوفين الإسلاميين " السنة" في السجون اللبنانية إلى الصدارة ، وهو ملف لا يزال بتّه مؤجلاً منذ العام ٢٠٠٦ دون أن يحاكم أفراده على خلفية معارك مخيم نهر البارد بين الجيش اللبناني وفتح الإسلام حينها ، والتي تزامن معها وتلاها اعتقالات طالت بعض من يعتبروا أبرياء ، تصدر السلفيون المشهد السياسي ، وبرزت أسماء جديدة دفاعاً عن الموقوفين الإسلاميين مطالبة بإطلاق سراحهم ، حيث اختلط ملف هؤلاء مع الأنشطة الداعمة للثورة السورية والرافضة لسياسة حكومة الرئيس نجيب ميقاتي وصمتها عن تدخل حزب الله في سوريا رغم إعلان الحكومة سياسة النأي بالنفس والحياد تجاه ما يجري في سوريا والتي لم يلتزم بها حزب الله .

في خضم هذا الحراك برزت أسماء جديدة في فضاء التيار السلفي أخذت أسماؤها تتردد في المجال السياسي على وقع أحداث الثورة السورية ، والتي كانت معركة القصير إحدى أبرز تجلياتها .

أبرز تجليات المشهد السلفي الجديد مع اندلاع الثورة السورية تمثلت عملياً بظاهرة " الأئمة الأمراء " :

تمثلت الأولى في طرابلس من خلال بروز الشيخ سالم الرافعي [٩] إمام مسجد التقوى ، والذي نجح في استقطاب العديد من رموز الحالة السلفية وتكوين مرجعية جديدة ناشطة أكثر انفتاحاً واختلاطاً بالشباب ، وأكثر تسيّساً وانخراطاً في المجال العام ، نشاطه المتزايد ومواقفه الصريحة المؤيدة للثورة السورية وتبنيه منذ اللحظة الأولى مساعدة النازحين السوريين حوله إلى مركز جذب للعديد من الناشطين الإسلاميين ، تميز الشيخ سالم الرافعي بابتعاده عن الإعلام وأسلوبه الذي جذب عدد من رموز الدعوة ، إلا أن الأهم في تعاظم نفوذه ضمن التيار هو استناده إلى خلفية علمية وفقهية وعدد من الدراسات والكتب التي أنجزها ، وهو ما ساعده على أن ينتخب كرئيس لهيئة علماء المسلمين في لبنان ، وهي الهيئة الناشطة والجامعة لعدد كبير من العلماء الشباب ، والتي من خلالها تصدر

(٩) يتحدر من عائلة طرابلسية معروفة ، درس متنقلاً بين جامعة المدينة المنورة ثم جامعة القرآن الكريم في أم درمان السودانية ليحصل على شهادة الدكتوراه مروراً بجامعة البنجاب الباكستانية وصولاً إلى ألمانيا التي قضى فيها ما يزيد عن عشرة سنوات ، إلى أن تم ترحيله وإلغاء سمة " الإقامة المفتوحة " عن جواز سفره في سلسلة إجراءات طالت المسجد الذي شغل إمامته في برلين .

العديد من المواقف والفتاوى التي تعبّر بشكل متزايد عن مواقف السلفيين في لبنان وتحاول أن تقدم نفسها معبراً عن الطائفة السنية ، وخاصة في نصرتها للثورة السورية وإعلانها على لسان الشيخ الرافعي الجهاد لنصرة أهل الشام رداً على تدخل حزب الله في القصير .

تمثلت الظاهرة الثانية بما يعرف بحالة الشيخ أحمد الأسير ، إمام جامع بلال بن رباح في صيدا ، والذي بدأ بتشكيل خطاب أخذ يستقطب بعض المؤيدين تدريجياً ، ركز فيه على الدفاع عن أهل السنة في لبنان في مواجهة ما يعتبره غلبة حزب السلاح الممثل بحزب الله وهيمنته ، منطلقاً مما اعتبره يوماً أسوداً في تاريخ لبنان لإذلال الطائفة السنية في ٧ أيار ٢٠٠٨ يوم اجتاح حزب الله بيروت والجبل بسلاحه .

شكل خطاب الأسير محاولة استنهاضية في إطار البيئة الإسلامية السنية التي يعتبر شرائح عديدة من الفصائل السلفية الناشطة في أوساطها إن تيار المستقبل - بصفته ممثلاً رسمياً للطائفة - مقصرٌ في الدفاع عن مصالحها ، إلا أن عدم أصالة الانتماء السلفي للشيخ الأسير [١٠] وحداثة حركته لم تجعله يحصل على ما يشبه التزكية من كل التيارات السلفية ، ولم تسعفه فيما بعد في التحول إلى مرجعية أساسية لهم ، وإن حصل بشكل تدريجي على شيء من التعاطف والتأييد [١١] .

إلا لأن تدخل حزب الله العسكري والمكشوف في سوريا رفع من وتيرة خطابه ودفعه إلى مواجهة سياسية مكشوفة معه ، ترافق معها سعي الشيخ الأسير إلى تكوين نواة عسكرية لحركته ، عبرت عن نفسها من خلال المشاركة رمزياً في معارك القصير رداً على مشاركة حزب الله ، كانت هذه النواة العسكرية على بوابة الجنوب اللبناني بمثابة اللعب بالمحرمات بالنسبة لحزب الله ، لذلك بدأت خطوات لتطويق وحصر هذه الحالة وصولاً الى القضاء عليها وهو ما حصل مؤخراً في ٢٣ و٢٤ – ٦- ٢٠١٣ ، حيث استدرج الشيخ الأسير إلى صدام دموي مع الجيش اللبناني انتهى بخروجه الغامض واحتلال الجيش لمراكزه ومصادرة أسلحته وسقوط عشرات القتلى والجرحى بين الطرفين[١٢] .

وتمثلت الظاهرة الثالثة بالشيخ سراج الدين زريقات والذي يعبر بإعلانه عن الانضمام إلى كتائب عبد الله عزام التابع لـ " القاعدة "، عن تزايد ملحوظ في أعداد اللبنانيين المغادرين لحقل الدعوة السلفية الدعوية باتجاه الخيار المتشدد والعسكري .

ظاهرة الشيخ زريقات بدأت حين أوقفته مخابرات الجيش اللبناني للتحقيق معه بتهمة القيام بنشاطات إرهابية مطلع العام ٢٠١١، لكنه ترك حراً بعد ضغوط واستنكارات أبرزها صدرت عن مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد

---

(١٠) تعود الأصول الفكرية والفقهية للشيخ الأسير إلى حركة التبليغ والدعوة أكثر مما تعود إلى التيارات السلفية ، ومن المعلوم إن هناك خلاف في النظرة السلفية إلى جماعة التبليغ ، فالعديد من مراجعهم الكبار ينتقدون منهجهم بشدة ، على الرغم من عدم تبديعهم والسماح لهم بالدعوة في السعودية ، اللافت إن جماعة التبليغ تتشدد في منع أعضائها من التحدث بالسياسة في لبنان ، بل ان خطباء المساجد المحسوبين عليها لا يقتربون من المواضيع السياسية على الإطلاق ، وهو ما يعترف به الشيخ الأسير معتبراً نفسه "حالة خاصة" ومستقلة .

(١١) يشكل الاعتصام السلمي المفتوح الذي بدأه الشيخ الأسير مع جماعته ضد هيمنة السلاح وحزبه في ٢٠ حزيران – مايو ٢٠١٢ في صيدا التحرك العملي الأول في مواجهة غير مباشرة وسلمية مع حزب الله وحركة أمل من خلال الشعارات المرفوعة في الاعتصام والذي أثار ردود فعل عارمة في لبنان بقي مستمراً أسابيع عدة على وقع خطاب شديد اللهجة ضد السلاح والهيمنة المذهبية ، انظر للمزيد حول هذا الاعتصام على الرابط :
http://www.elnashra.com/news/show/٤٩٤١٥٤

(١٢) في بعض الإحصاءات سقط حوالي ٨٦ قتيلاً بينهم ١٨ من الجيش اللبناني و٦ من حزب الله و٦٢ من أنصار الأسير، وأكثر من ٢٧٠ جريحاً.

قباني باعتبار الشيخ المذكور أحد العلماء التابعين لدار الفتوى وخطيباً مفوهاً في بعض مساجد بيروت ، وما إن أطلق سراحه بعد ساعات من توقيفه حتى اختفى الشيخ منذ ذلك الحين ليظهر في تسجيل صوتي لكتائب عبد الله عزام يعرض فيه ما يتعرض له " أهل السنة في لبنان من مظلومية ومضايقات من قبل الجيش اللبناني وحزب الله ، متوعداً حينها بأن الرد القادم سيكون قوياً " [١٣] .

بعد التفجيرين الذين استهدفا السفارة الإيرانية في بيروت في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣ أطل الشيخ زريقات من جديد ليعلن مسؤولية كتائب عبد الله عزام عن التفجيريين نصرة للثورة السورية ، لتتكرر بعدها عدة عمليات استهدفت مناطق تواجد حزب الله وتجمعات شيعية في الضاحية الجنوبية من بيروت وغيرها ، وعلى الرغم من الضربات الأمنية الموجعة التي وجهتها الأجهزة الأمنية اللبنانية لهذا التنظيم باعتقال ماجد الماجد زعيم التنظيم ومن ثم وفاته في السجن [١٤] ومن ثم من خلال تفكيك بعض الخلايا وأهمها خلية نعيم عباس [١٥] الفلسطيني الذي تم اعتقاله في الطريق الجديدة في بيروت خلال إعداده لسيارات مفخخة معدّة لانتحاريين ، إلا أن هذا التنظيم أثبت أنه لا يزال يملك القدرة على التحرك من خلال قيامه بعمليات انتحارية جديدة ، وكانت عملية بئر حسن في بيروت دليلاً على ذلك [١٦] .

لا تتوقف ظاهرة السلفية الجهادية الآخذة في اختراق بعض البيئات الإسلامية اللبنانية على كتائب عبد الله عزام ، فثمة بعض الإشارات تفيد بأن جبهة النصرة أيضاً قد نجحت في إقامة قواعد وخلايا لها في لبنان على خلفية الرد على حزب الله في عقر داره ومعاقبة بيئته الحاضنة لما يفعله بأهل السنة على أرض الشام .

الخاتمة

تبدو التحديات السياسية والأمنية آخذة بالتحول إلى أولوية لدى التيار السلفي الذي بدأ يتعاظم لديه الشعور بالخطر الوجودي ، وهو ما دفعهم إلى محاولة التوحد أكثر من مرة دون جدوى ، والواقع يمثل الحديث عن التيارات السلفية في لبنان إشكالية كبرى نظراً للتسييس والتداخل الذي رافق هذا الملف منذ أيام الوجود السوري وأسلوب تعامله الأمني معها ، وصولاً إلى ظهور تنظيم فتح الإسلام للعلن في ٢٤-١٠-٢٠٠٦ المثير للجدل في طريقة ظهوره وتمويله [١٧] ، والذي تفكك عملياً حيث التحق من بقي من عناصره بكتائب عبدالله عزام وغيرها في سياق صراعها

---

(١٣) انظر الرابط https://www.al-akhbar.com/node/١٠٥٧٩٤

(١٤) انظر تفاصيل الاعتقال وهذه الشخصية المثيرة على الرابط http://www.slabnews.com/article/٥٦١٣١

(١٥) انظر جريدة السفير اللبنانية ١٣ – ٢ – ٢٠١٤

(١٦) حصلت العملية على مقربة من المستشارية الثقافية الإيرانية في ١٩- ٢- ٢٠١٤ انظر http://www.alarab.co.uk/?id=١٥٧٩٦

(١٧) وخاصة ما يتعلق بشاكر العبسي وطريقة إخراجه الملتبسة من السجون السورية وانضمامه إلى الجبهة الشعبية ، القيادة المعروفة بعلاقتها القوية بالأجهزة السورية والتي من خلالها تسلل إلى لبنان ومن ثم إلى مخيمي البداوي ونهر البارد ، ليعلن من هناك انقلابه واستيلائه على المخيمات ، مما أدى فيما بعد إلى صدام دموي مع الجيش اللبناني استمر لشهور عدة ، وقد أفضى الصراع إلى مقتل ٤٥٠ مدنياً وجندياً ومقاتلاً إسلامياً وتدمير المخيم الفلسطيني بشكل كامل والمناطق المحيطة به وترحيل ما يقارب ٦ آلاف أسرة وخسائر اقتصادية هائلة ، أنظر تقرير قدمته الحكومة اللبنانية في مؤتمر المانحين في فيينا بتاريخ ٢٣ حزيران/يونيو ٢٠٠٨، وهو منشور في الدراسة التي أعدتها مؤسسة الأزمات الدولية (الطائفة السنية وتيار المستقبل) الصادر في ٢٦ مايو ٢٠١٠.

مع الأجهزة الأمنية اللبنانية لإطلاق سراح الموقوفين الإسلاميين على ذمة تلك القضية ، والذين لا يزالون في غالبهم بلا محاكمة من جهة ، وصراعها مع حزب الله لهيمنته السياسية والعسكرية في لبنان منذ ٧ أيار ٢٠٠٨ في لبنان من جهة أخرى ، وعلاقة الكتائب الملتبسة بالقاعدة لأسباب تعود جذورها إلى زمن " فتح الإسلام " ، إلا أن عناصر جديدة ستدخل على وقع التداعيات التي أطلقتها الثورة السورية في لبنان ، وخاصة بعد التدخل العسكري العلني من قبل حزب الله لصالح النظام السوري ، هذا التدخل أعاد تأجيج الانقسام المذهبي في لبنان وفتح الباب واسعاً لدخول عناصر القاعدة إلى لبنان .

خلاصة القول ، إن ملف القاعدة والسلفية الجهادية في لبنان شائك يشوبه الكثير من الغموض ويختلط فيه التسييس والتوظيف الأمني ، فضلاً عن التضخيم والاختراقات ، إلا أن السلفية الإصلاحية أو العلمية في عبورها نحو السياسة اللبنانية الشائكة تعرضت عبر مراحل عديدة إلى معوقات سلطوية وأمنية كبيرة ، جعلت من هذا العبور مثقلاً بالكثير من التحديات والالتباسات ، الأمر الذي ترك أثراً بنيوياً على تركيبتها كتيار وخبراتها وخطابها ، وهو لا يزال يحاول حتى اليوم إزالتها